

ديوان

الصمة بن عبد الله القشيري

ولغة شعره

د. عبد الرحمن الرشيدي

مجلة الذخائر - العدد ٤، ٢٠٠٠م

الصمة بن عبد الله القشيري

ولغة شعره

□ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي

الصمة بن عبد الله القشيري شاعر إسلامي مقلّ، بدويّ عفيف متميز من بين أقرانه الغزليين بعفة واضحة، وصدق المشاعر، عانى في حبه من ابنة عمه ما عاناه غيره من شعراء العصر الأموي، الذين عرفوا بتعلقهم بمن أرادوا أن يرتبطوا بهنّ، فحالت ظروف دون تحقيق ما أرادوا. لقد صدر هذا الشاعر عن صدق الأحاسيس والعواطف، ونفس أثقلتها الهموم والآلام والحرمان. فالصمة صورة أخرى تضاف إلى صورة جميل بن معمر، وقيس بن ذريح، وكثير عزة، وقيس بن الملوح، وتوبة بن الحمير، وأقرانهم، أحب وأخلص وسعى بعد حبه العفيف الطاهر الى الاقتران بمن يحب، ولكن الأمور تجري على غير ما تأمل، وما تأمل أقرانه، فأصابه الوجد، ولفه الحزن والهم، فهام على وجهه، وأطلق لقلبه العنان، وللسانه التعبير عن الحالة التي هو عليها، فينساب الشعر عذباً ملتهباً بالعواطف مفعماً بالحسرات، معبراً عن الحنين إلى التي . . . هام بها، والى المرابع التي عاش في أحضانها، والحمى الذي نشأ فيه، وترعرع فوق رملته، وبين أحيائه.

فكل لفظة قالها الشاعر مضمون اجتماعي، وكل عبارة فكرة، وكل بيت نظمة حالة ذات بعد عاطفي ملتهب، وحس مرهف، فإذا ذكر (القلب) انصرف الذهن الى المعاناة والتحمل والأذى، وإذا ذكر (النفس) انصرف الذهن إلى الطماح والشوق والحنين: [من الطويل]

بنفسيَ تلكَ الأرضَ ما أطيبَ الرُّبا ... وما أحْسَنَ المصطافَ والمُتربَّعا
حَنَنْتَ إلى ريّا ونفسُكَ باعَدَتْ ... مَزارَكَ من ريَّا وشَعباكُما معَا

وإذا ذكر (العين) انصرف الذهن الى البكاء، وسيل الدموع على الخدين:

بكَتْ عَيْنيَ اليُسرى فلما زَجَرْتُها عَن الجهل بعد الحلم أسْبَلَتَا معا

وإذا ذكر (الحمى) انصرف الذهن إلى التذكّر والتّلفُّت نحوه والارتباط به :

[من الطويل]

تَعَزَّ بلا صَبْرٍ وَجَدِّكَ لا تَرَى سَنَامَ الحمَى أُخْرى اللّيالي الغَوابر
كأنَّ فُؤادي مِنْ تذكُّره الحمَى وأهل الحمَى يَهْفو به ريشُ طائر[1]

ولقد التصق الصمة بالحمى التصاقاً غريباً ظل يتردد (في جل شعره، حتى كان آخر ما يقوله من شعره هذين البيتين، وهو ينازع، ففاضت نفسه والبيتان على لسانه)[2].

إنني وجدت في شعر هذا الرجل حلاوة لم أجدها في شعر غيره، ورأيت فيه تميزاً لغوياً، يؤكد صورة من أحكام اللغة، ومجازاتها التعبيرية، تسمح للباحث أن يقرر أن العربية لغة الاتساع، والتحرر من الصياغات التركيبية لأبنائها، والمتعاملين بها، كما سنقف على بعض تلك المظاهر اللغوية في شعره.

هذه الميزات التي اتصفت بها شاعرية الصمة جعلت نقاد الشعر والأدب، يفضلونه على كثير من شعراء العرب، كأبي حاتم السجستاني: (٢٥٥ هـ)[3].
وابن الأعرابي: (٢٣١ هـ)[4].
وابراهيم بن محمد بن سليمان الأزدي[5]، وغيرهم.

ولا بد لنا أن نقف على شيء من أخباره، وأحواله، ثم ندرس شعره ولغته.
فمن هو؟.

اسمه ونسبه:

عني المترجمون بنسب الصمة، فأوصلوه إلى مضر من العرب، فهو الصمة ابن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب

(١) معاهد التنصيص: ٢/٨٧ ـ ٨٨.
(٢) نفسه: ٢/٨٨.
(٣) الأغاني: ج٦/ص٦.
(٤) نفسه:ج٦/ص٤.
(٥) نفسه:٦/ص٥.

ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار[١].

وذكر صاحب الخزانة النسب نفسه، ولكنه وقف عند (مضر) وجعل بدل (الطفيل): الحرث بن قرة بن هبيرة، في حين يتفق ما ذكره العباسي في (المعاهد) مع أبي الفرج في الأغاني[٢].

وجعل التبريزي السلسة: (الطفيل بن الحارث بن قرة بن هبيرة) في شرح الحماسة[٣].

ومن سلسلة النسب يثبت لنا أن نسبته: (القشيري) جاءت من: (قشير بن كعب) وأما كونه (عامرياً) فمن: (عامر بن صعصة)، ولعل كونه (عامرياً) جعلت رواة الشعر يخلطون بين شعره، وشعر قيس العامري في ابنة عمه (ليلى).

ولقد ذكروا أنّ جدّه (قرة بن هبيرة) صحب رسول الله (صلى الله عليه وسلّم)، وكان أحد وفود العرب عليه(ص)، في عام الوفود فأسلم وحسن إسلامه، وكان لهذا الجد الصحابي الأثر الكبير في دين أسرته، ودين الصمة نفسه، وحسن عقيدته...

وفي إسلام جده ينقل أبو الفرج أنه وفد على النبي - ص -. فأسلم وقال له: «يا رسول الله، إنا كنا نعبد الآلهة، لا تنفعنا ولا تضرّنا، فقال له رسول الله(ص) نعم ذا عقلا»[٤].

وليس بين أيدينا ما يؤكد لنا: متى ولد (الصمة، ولم سمي بهذا الاسم؟)...

والمعروف أن هناك من تسمى بهذا الإسلام غيره، فثمة الصمة من بني جشم، مالك بن الحرث، الصمة الأكبر، والثاني من بني جشم الصمة الأصغر،

(١) هكذا ورد نسبه في الأغاني: ج٦/ص١.

(٢) الخزانة: ١/٤٦٤ والمعاهد: ٢/٨٧.

(٣) شرح الحماسة للتبريزي: ٣/١١٢.

(٤) الأغاني: ٦/ص٢.

وهو معاوية بن الحرث أخو مالك بن الحرث (الصمة الأكبر)، وهذا الأصغر هو أبو دريد بن الصمة وكلاهما شاعر، فارس جاهلي[١].

صفاته الخَلْقية والخُلُقية:

لقد وردت في الصمة صفات ترسم لشخصيته بين أبناء عصره سمات متميزة، فقد نقل البغدادي فيه أنه كان: «شريفاً شاعراً، ناسكاً عابداً»[٢].

وقال أبو الفرج: «بدوي مقلّ ـ يعني في شعره ـ من شعراء الدولة الأموية....»[٣].

ومن خلال سلوكه مع أهله، وأبيه وعمه، يبدو لنا الصمة رجلاً ذا أنفة، وغلظة في طبعه، يقول الرواة لأخباره: إنه حين لؤم معه أبوه وعمه، في قضية تزويجه مع ابنة عمه التي هويها، كما سنأتي عليها: «أنف الصمة من فعلهما وخرج إلى طبرستان، فأقام فيها إلى أن مات»[٤]. ويروي ابن دأب عن غضبه أنه حين حصل له ما حصل من قصة تزويجه: «رحل إلى الشام غضباً على قومه»[٥].

قصة تزويجه من ابنة عمه:

لقي الصمة في حياته العاطفية ما لقيه غيره من شعراء عصره الذين عرفوا بغزلهم العفيف، فنال منهم الوجد، وأودى بحياة أكثرهم، وأصيب بعضهم بالجنون والهوس، حتى هام على وجهه في البوادي.

لم يكن الصمة بأحسن حالاً من مجنون ليلى، وتوبة بن الحميّر وجميل بثينة وأضرابهم.

لقد أحب كل واحد من هؤلاء ابنة عمه، وجاهد في سبيل الاقتران بها، ليعيش في ظل الزوجية المشروعة، ولكن مواقف أعمامهم، أو آبائهم كانت تحول

---

(١) الخزانة للبغدادي: ٤٦٤/١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الأغاني: ج٦/ص٢.

(٤) المعاهد: ٨٧/٢.

(٥) شرح الحماسة: ٢١٢/١ والمعاهد: ٨٧/٢ ـ ٨٨.

دون طموحاتهم، فيحصل لهم ما يحصل، من جراء الإخفاق والفشل عن تحقيق مآربهم.

وقصة حب الصمة تثير في نفس القارئ ألماً قاسياً، لأنها صورة من صور اللؤم والنزعة الشريرة، صنعت من الصمة شاعراً حزيناً باكياً، يعبر عن نفس متألمة، فيما نظم من غزل فيمن أحب حباً صادقاً، ولم يتحقق له من حبه ما كان يرجوه من التزوج والبناء الأسري، ولننقل هنا القصة كما رواها أبو الفرج، ثم نعقب عليها بما روته المصادر الأخرى.

روى صاحب الأغاني عن ابن دأب[1]: كان من خبر الصمة أنه هوي امرأة من قومه، ثم من بنات عمه دنية - أي: نسباً لاحقاً - يقال لها: العامرية، بنت غطيف بن حبيب بن قرة بن هبيرة، فخطبها إلى أبيها، فأبى أن يزوّجه إياها، وخطبها عامر بن بشر بن أبي براء بن مالك بن ملاعب الأسنة بن جعفر بن طلاب، فزوجه إياها، وكان عامر قصيراً قبيحاً، فقال الصمة فيه: [من الطويل]

فَإِنْ تنكحوها عامراً لاطلاعكُمْ ... إليه، يُدَهْدِهكُمْ برجلَيْه عَامِرُ

شبهه بالجمل الذي يدهده البعرة برجله.

قال: فلما بنى بها زوجها وجد الصمة بها وجداً شديداً، وحزن عليها فزوجه أهله امرأة منهم، يقال لها (جبرة) بنت وحشي بن الطفيل بن قرة بن هبيرة فأقام عليها مقاماً يسيراً، ثم رحل إلى الشام غضباً على قومه، وخلّف امرأته فيهم وقال لها: [من الطويل]

كُلي التَّمْرَ حَتَّى تَهْرَمَ النَّخْل واضفري ... خطامَكِ ما تدرينَ ما اليومُ منْ أَمْسِ

وقال فيها - أيضاً -: [من الطويل]

لَعَمْري لئنْ كنتُم على النَّأْي والقِلَى ... لكُمْ مِثْلُ ما بي، إنَّكم لَصَديقُ

إذا زَفَراتُ الحُبِّ صَعَّدْنَ في الحَشا ... رَدَدْنَ، ولم تَنْهَجْ لَهُنَّ طَرِيقُ

وأورد أبياتاً أخرى غيرها[2].

وفي موضع ثان ذكر أبو الفرج القصة بشكل آخر، برواية موسى بن عبد الله التيمي، قال: خطب الصمة القشيري بنت عمه، وكان لها محبّاً، فاشتط عليه

(١) الأغاني: ج٦/ص٥.

(٢) وانظر - كذلك - المعاهد: ٢/ ٨٧.

عمه في المهر، فسأل أباه أن يعاونه، وكان كثير المال، فلم يعنه بشيء، فسأل عشيرته، فأعطوه. فأتى بالإبل عمه، فقال: لا أقبل بهذا المهر عن ابنتي، فاسأل أباك أن يبدلها لك، فسأل أباه ذلك، فأبى عليه، فلما رأى ذلك من فعلهما، قطع عقلها وخلاها، فعاد كل بعير إلى ألآفه، وتحمّل الصمة راحلاً، فقالت بنت عمه حين رأته يتحمل: تالله ما رايت كاليوم رجلاً باعته عشيرته بأبعرة؟

ومضى من وجهه حتى لحق بالثّغر، فقال وقد طال مقامه، واشتاقها وندم على فعله: [من الطويل]

أتبكي على ريّا ونفسُكَ باعَدَتْ مَزارَكَ من ريّا وشَعْباكما مَعَا
فما حَسَنٌ أنْ تَأتيَ الأمْرَ طائعاً وتجزَعَ أنْ داعي الصَّبابَة أسْمَعَا[١]

ويحدد التبريزي[٢] عدد الإبل التي أعطاها أبوه له (بتسع وأربعين) ناقة، ولم يجعلها (خمسين)، كما أراد عمه مهراً لتزويج ابنته، يقول: هوي بنت عم له، يقال لها (ريا) فخطبها إلى عمه فزوجه إياها على خمسين من الإبل، فجاء إلى أبيه، فسأله ذلك. فساق له تسعاً وأربعين، وقال له: عمّك لا يناظرنا بنقصان ناقة، فساقها إلى عمه، وذكر له ما قال أبوه، فأبى أن يقبلها إلا كمّلاً، فلجّ أبوه، ولجّ عمّه، فقال: والله! ما رأيت ألأم منكما جميعاً، وإني لألأم منكما إن أقمت معكما، فرحل إلى الشام، فتتبعتها نفسه فقال:

حننت إلى (ريا) ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعبا كما معا

وأورد من الأبيات تسعة، وشرحها[٣].

ولكن صاحب الخزانة يضيف على الخبر: أنه حين خرج غضباً على أبيه وعمه، رحل إلى الشام، فلقي الخليفة، فكلمه، فأعجب به، وفرض له، وألحقه

---

(١) الصفاني: ج٦/ص٧.

(٢) في شرح الحماسة: ١/١١٢ – ١١٥ وبين هذه الرواية ورواية الأغاني شيء بسيط من الاختلاف في اللفظ: ح٦/ص٧.

(٣) وفي الخزانة: ١/٤٦٤ يذكر الخبر المسوق في المصادر مع اختلاف قليل في اللفظ.

بالفرسان، وكان يتشوق إلى نجد، وقال هذا الشعر»[١]. وحين التحق بالفرسان شارك في حرب الديلم، ومات بطبرستان[٢]، كما سنرى.

والذي ينبغي لنا الوقوف عليه في خبر تزويجه، هو تعدد أسماء البنات اللواتي ذكرت في هذه القصة، فقد مر معنا اسم (العامرية بنت غطيف) واسم (جبرة) وهي التي تزوجها من غير رغبته، بعدما أخفق في تزوجه العامرية، وورد اسم (ريا) وهي التي ذكرها في أبياته العينية، يحن إلى اللقاء بها، ويتذكر أيامها. وذكر العباسي في (المعاهد) أن الصمة هوي ابنة عم له، يقال لها (ذئبة) أوثر عليه في تزويجها غيره، لأن عمه لؤم في السماح بالمهر، وكان قد اشتط فيه، ولؤم أبوه في إكماله، فأنف الصمة من فعلهما، وخرج إلى طبرستان، فأقام بها...)[٣].

والذي يتهيأ لي من خلال هذه النقول عن تزوجه: أنها حادثة واحدة داخلها تحريف، وتغيير، فجاءت على أوجه مختلفة، وأسماء متعددة، فأصل الحكاية هي أنه أراد التزوج بابنة عمه التي ذكروا أنها (العامرية) التي شغف بها حباً، وهي التي ذكرها باسم (ريا)، وإنما عرفت بالعامرية نسبة إلى قومها (بني عامر) لأن القشيريين ينتهي نسبهم إلى (عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن... بن مضر بن نزار)[٤]. وربما نسب الصمة إلى بني عامر - أيضاً - من هذا الوجه.

أما التي وردت باسم (جبرة) فهي التي زوجها أهله بها بعد إخفاقه، يقول العباسي: (زوجه أهله امرأة منهم يقال لها (جبرة)، فأقام معها يسيراً، ثم رحل إلى الشام غضباً على قومه)[٥].

أما (ذئبة) فقد جاء تحريفاً للفظ (دنية) الذي ورد في نص أبي الفرج يفسر به نسب (العامرية) وهو قوله: (إنه هوي امرأة من قومه ثم من بنات عمه دنيةً - أي: نسباً لاحقاً -...)[٦]، فحرّفها العباسي إلى لفظ (ذئبة) توهماً.

---

(١) نفسه: ٤٦٤/١.

(٢) أنظر الأغاني: ج٦/ص٣.

(٣) معاهد التنصيص: ٨٧/٢.

(٤) الأغاني: ج٦/ص١.

(٥) المعاهد: ٨٧/٢.

(٦) الأغاني: ج٦/ص٢.

وفاته:

هجر الصمة قومه، ورحل إلى الشام، والتقى الخليفة الأموي ـ يومئذ ـ مروان ثم انخرط في سلك الفرسان في حملة على بلاد الديلم، يقول ابن دأب: (أخبرني جماعة من بني قشير: أن الصمة خرج في غُزَيٍّ من المسلمين إلى بلد الديلم فمات بطبرستان)[(١)].

وفي موته بطبرستان يروي ابن دأب عن رجل من أهل طبرستان قال: (بينما أنا أمشي في ضيعة لي فيها ألوان من الفاكهة والزعفران وغير ذلك من الأشجار، إذا أنا بإنسان مطروح في البستان عليه أهدام خُلقان، فدنوت منه، فإذا هو يتحرك، ولا يتكلم فأصغيتُ إليه، فإذا هو يقول بصوت خفي: [من الطويل]

تعز بلا صبر وجدك لا ترى ... سنام الحمى أخرى الليالي الغوابرِ
كأن فؤادي من تذكّره الحمى ... وأهل الحمى يهفو به ريش طائرِ

قال: فما زال يردد هذين البيتين، حتى فاضت نفسه، فسألت عنه، فقيل لي: هذا (الصمة بن عبد الله القشيري..)[(٢)].

ولقد كان الصمة حين خرج من ديار قومه، قد سكن بادية العراق، وظل فيها حقبة طويلة، حتى عرف بالبدوي، ثم انتقل منها إلى الشام، ومنها إلى طبرستان في جيش المسلمين، وكانت وفاته على وجه التقدير: سنة خمس وتسعين للهجرة..)[(٣)].

شعره الغزلي:

الصمة شاعر بدوي مقل، عاش في ظل الحكم الأموي، فنسب إلى الحقبة الأموية، فقيل فيه: هو شاعر أموي، وقيل: هو شاعر مرواني وعرف بالغزل ـ وحده ـ فقالوا فيه: شاعر غزل.

---

(١) الأغاني: ٦/ص٣.

(٢) نفسه: ٦/ص٤ وفي المعاهد: (فإذا هو يتحرك ويتكلم..) ٢/ ٨٨.

(٣) أنظر: الأعلام للزركلي: ٣/ ٣٠٠. والخزانة: ١/ ٤٦٤ والمعاهد: ٢/ ٨٧ والأغاني: ٦/ص١ فما بعد.

وقد وجد النقاد، ورواة الشعر فيما خلف من مقتطفات شعرية ما يشير إلى أنه كان مقدماً في الغزل، بارعاً فيه، معبراً عن صدق أحاسيس، وانفعالات حادة، بسبب ما أصابه من إخفاق في حبّه، فقد كان ابن الأعرابي يعجب بأبياته العينية:

[من الطويل]

أما وجلال الله لو تذكرينني ... كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا

فقالت: بلى والله ذكراً لوانه ... يصب على صُمِّ الصفا، لتصدعا

ولما رأيت البشر قد حال بيننا ... وجالت بنات الشوق في الصدر نزّعا

تلفّت نحو الحي حتى وجدتني ... وجعت من الإصغاء ليتاً وأخدعا(١)

وحكى الوشاء الناقد، قال: قال لي إبراهيم بن محمد بن سليمان الأزدي: لو حلف حالف أنّ أحسن أبيات قيلت في الجاهلية والإسلام في الغزل قول الصمة القشيري، ما حنث:

حننت إلى ريا ونفسك باعدت ... مزارك من ريا وشعبا كما معا

فما حسن أن تاتي الأمر طائعاً ... وتجزع أن داعي الصبابة اسمعا

بكت عيني اليمنى فلما زجرتها ... عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا(٢)

وأذكر أيام الحمى، ثم أنثني ... على كبدي من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجعٍ ... عليك، ولكن خل عينيك تدمعا

وهذه المقطوعة أورد منها التبريزي تسعة أبيات تتمة لما سبق، كقول الصمة:

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى ... وقل لنجد عندنا أن يودّعا

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا ... وما أحسن المصطاف والمتربعا

---

(١) الأغاني: ج٦/ص٤٠٥.

(٢) اختلف النقاد والمعنيون في شرح هذا البيت: انظر شرح التبريزي: ١١٤/١ ففيه رأي المفجع، وبعض الشراح الآخرين. وقد أورد من القصيدة تسعة أبيات.

وزادت المصادر الأخرى أبياتاً أخرى، تعدت بها المقطوعة الستة عشر بيتاً، فقد روى محمد بن داوود الأصبهاني في (الزهرة) الأبيات: قال الصمة بن عبد الله: [من الطويل]

ولــم أر مثــل العامريـــة قبلـــها ولا بعدهــا يـــوم التقينـــا مودعـــا

والذي يتتبع أخبار هذه القصيدة وأبياتها يستطيع الوقوف على تمامها، لما تميزت به من حس مرهف، وتعبير صادق، وعواطف جياشة متألمة دفعت الشاعر إلى نظمها.

أما أبو حاتم السجستاني الأديب الراوية المقرئ (٢٥٧ هـ) فقد كان يعجب بشعر القشيري، وكان يستجيده، ومن استجاداته قول الصمة[٢] : [من البسيط]

إذا نــأت لــم تفــارقني علاقتــها وإن دنت فصدود العـاتب الـزاري

فحــال عينــي مــن يوميـك واحــدة تبكـي لفـرط صــدود أو نـوى دار

إن روح الشاعر الحزينة طغت على كل ما قاله في محبوبته الضائعة من يده، فهي تعيش معه في كل لحظات حياته، مما جعل عينيه تدمعان دائماً، وجعل قلبه جريحاً، وعقله شارداً بعيداً عن واقعه، ولذلك يروي بعض بني عقيل عنه، قال: (مررت بالصمة بن عبد الله القشيري ـ يوماً ـ وهو جالس ـ وحده ـ يبكي، ويخاطب نفسه، ويقول: لا والله ما صدقتك فيما قالت، فقلت: من تعني، ويحك؟؟! أجننت؟ قال: أعني التي أقول فيها: [من الطويل]

أمــا وجـــلال الله لـــو تذكرينـــي كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا

فقــالت: بلـــى والله ذكـــراً لوانــــه يصب على صـم الصفا لتصدعا

اسلّي نفسي عنها، وأخبرها أنها لو ذكرتني، كما قالت، لكانت في مثل حالي[٣] .

---

(١) الزهرة: ١٦٣/١ ومحاضرات الأدباء: الأصبهاني: ٣٧/٢ وسمط اللآلي: ٥٣٠ و٣٦٠ وأمالي القالي: ١٩٠/١ والحماسة البصرية: ١٦٥.

(٢) الأغاني: ج٦/ص٦.

(٣) نفسه: الجزء والصفحة، وهذان البيتان هما اللذان كان ابن الأعرابي يستجيد من شعره ويستحسنهما، انظر الأغاني ـ أيضاً ـ: ج٦/ص٤.

فالشاعر يخاطب نفسه من داخله، ويتأرجح بين أمرين لم يكن متأكداً من أحدهما، فهو يعتقد أنها قد تركته، فلم يرد على بالها ولم تذكره، ولو ذكرته كما يذكرها هو، لما بكى، وأكثر في الحنين والوجد والآلام، ثم يرجع فيقول: (قالت: بلى والله ذكراً لو أنه. .)، وقوله (قالت) هو تخيل بعيد عن واقعه، غريب عن حاله التي هو عليها، فهو يتخيل أنها تعرف حاله، وأنها تذكره كما يذكرها، وإن ذكرها له أشدّ من لهيب النار، بحيث لو صب على صم الصفا، لتصدع الصخر منه، إنها تخيلات إنسان مصاب متألم صرعه العشق، وجرعته نوائب الحياة القاسية.

وأبرز ما في غزل الصمة، هو حنينه إلى (الأرض) التي شب عليها وتعلق بذكرياته فيها مع من أحب، وهي التي كانت ديار قومه في (نجد)، فلا يكاد شعره يخلو من ذكر (الحمى) و(أهل الحمى)، و(الأرض) و(نجد)، و(عرارة)، و(رياروضه)، و(المصطاف والمتربع)، و(البشر) وهو جبل ـ و(الحي). و(دار بالرقاشيين)، و(ريح المسك) و(الخزامى)، فضلاً عن تكرار (العامرية) و(ريا) من أسماء حبيبته، فهو يقول: [من الوافر]

أقول لصاحبي والعيس تهوي ... بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار
إلا يا حبذا نفحات نجدٍ ... وريا روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحل الحي نجداً ... وانت على زمانك غير زار
شهور ينقضين وما شعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرار
فأما ليلهن فخير ليل ... وأقصر ما يكون من النهار(١)

والأبيات نسبت إلى غير الصمة في مصادر عربية مختلفة، ولكن الصورة التي تتركها الأبيات في نفس قارئها تسوق إلى القول بأنها من شعر الصمة، لما فيها من تعلق بنجد ـ ديار قومه وأهله ـ وتذكر الشاعر لأيامه الخوالي وهو يعيش قريباً من

(١) هذا نص المعاهد: ٢/٨٥ وقال العباسي: (وقيل: هي لجعدة بن معاوية بن حزم العقيلي)، وفي السمط منسوبة إما للصمة أو لجعدة: ص١٤٠، وفي الزهرة: ١/١٠٩ وفي مصادر أخرى نسبت إلى أكثر من شاعر كالمجنون وجميل، ديوان المجنون: ١٩ وديوان جميل: ١٠٢. وانظر اللسان •عرر) ومعجم البلدان: ٣/٤٧٩ والمرزوقي: ١٢٤٠.

صاحبته، لا يشعر بانقضاء الشهور، وتعاقب الأيام، فليلها خير ليل، ونهارها قصير، لا يشعر به لسرعة انقضائه، إن هذه الصور التي يعكسها الشاعر عن حالته قبل نفوره وغضبه، وهجره قومه، تؤكد لنا إصراره الشديد على تلك الغضبة، وعلى ذلك الموقف اللئيم من أبيه وعمه تجاهه، لأنهما حالا دون تواصله مع ابنة عمه، وسائر شعره يؤكد ذلك ـ أيضاً ـ فهذا قوله: [من الطويل]

ذراني من نجد فإن سنينه ... لعبن بنا شيباً وشيّبننا مردا

لحى الله نجداً كيف يترك ذا الندى ... بخيلاً، وحر القوم يتركه عبدا

على أنه قد كان للعين قرة ... وللبيض والفتيان يتركه حمدا

سقى الله نجداً من ربيع وصيّب ... وجود وتسكاب سقى مزنه نجدا[1]

فالصمة في هذه الأبيات لا يختلف عما رسمه من الأبيات الرائية من تمتعه بنجد وأهلها في وقت صباه، ودعائه لأرضها بالخير والحياة.

وحين طوّحت به الحياة القاسية بعيداً عن نجد، وصاحبته فيها، قال:

تعز بصبر لا وربّك لا ترى ... سنام الحمى أخرى الليالي الغوابر

كأن فؤادي من تذكره الحمى ... وأهل الحمى يهفو به ريش طائر[2]

لقد كان الصمة شاعر الغزل في العصر الأموي، من غير أن يشوب شعره بشيء من الأغراض التقليدية الأخرى، كالمديح والثناء والهجاء، لأن شغله الشاغل في حياته، كانت تلك المرأة التي تعلق قلبه بها، وكانت ابنة عم له، سعى وكدّ وجدّ، لأجل أن يقترن بها، كما يأمر الشرع، وتحكم مبادئ الإسلام، والقيم المشروعة، فحال دون ذلك أبوه وعمه ـ كما رأينا ـ، فهجر الحمى، وهجر الأحباب، وأطلق لنفسه المتألّمة المجروحة أن تعبر عن وجدها وألمها، فكان هذا الشعر الذي ينضح بالصبابة والشّجا والبكاء المتواصل على ما منع عنه وحرم منه.

(١) وفي رواية أولها: دعاني... أنظر: تخليص الشواهد لابن هشام: ٧٢.٧١/١ شرح المفصل: ١١/٥ وأمالي ابن الشجري: ٥٣/٢ وابن عقيل: ٥٨/١.

(٢) في معاهد التنصيص: ٨٧/٢ ـ ٨٨ وفيه: لا وربك... سنام الحمى وهما في الأغاني بالرواية المثبتة، وهي الأصح: ج٦/ص٤ (دار الثقافة).

ولست في هذا البحث عامداً إلى جمع شعره وتحقيقه، ولكنني رميت إلى التنبيه على شاعر يستحق أن يعنى به الباحثون المعاصرون، لما تميز به من حلاوة المعاني، ومتانة التعبير وصدق الأحاسيس.

ولولا متانة لغته، وفصاحتها، لما تنبه الباحثون المتقدمون على ما يمتلك هذا الشاعر، من لغة متخيرة وأساليب تعبيرية جميلة، وصور شعرية بديعة جعلته في المقام البارز من شعراء حقبته الذين كثر الاستشهاد بشعرهم في النحو والبلاغة، ودلالات مفردات اللغة.

وسنحاول أن نعطي أمثلة على بعض تلك الجوانب المتميزة في شعره، مما تجمع بين أيدينا من نصوص نسبت إليه، وأقول: (نسبت إليه)، لأن الصمة واحد من شعراء الغزل الآخرين الذين كانت حالهم كحاله في اللوعة والوجد وشدة المعاناة مع من أحبوا، ثم لم ينالوا ما أرادوا، فهاموا، وضاعوا في خضم الحياة، فكانوا أحاديث على ألسنة السمّار، وصناع القصص الأدبي، فاختلطت أشعارهم وتداخلت الروايات[1].

لغة شعره:

الصمة شاعر فصيح، لغته البدوية تدل على نصاعة التعبير، وبعده عن الغريب والدخيل، فهو على الرغم من تمسكه بنمط واحد من أغراض الشعر العربي وهو الغزل، شاعر متنوع الأسلوب، جميل العبارة، مقتدر من تراكيب اللغة المختلفة المعبرة عن نفسه، وآلامها.

لقد عاش هذا الشاعر في أحضان عصر، كانت اللغة فيه تمت بصلة قوية إلى الاستمداد من منابعها الأصلية، ولم تكن الألسنة قد اختلطت، أو تأثرت، أو انحرفت، فبقيت صافية. يزيدها القرآن الكريم قوة، والحديث النبوي جمالاً، ونصوص الأدب المروية ديمومة واستمرارا على حيويتها، وتفاعلها. ولهذا كله نجد أن شعر الصمة يحكي لنا اللغة في أمثل قوانينها وقواعدها، ويتخير من مفرداتها الفصيحة ما يدل على بدوية الشاعر، وعمق صلته بلغة الصحراء العربية المترامية، ولكنه لا ينسى أن هذه اللغة سمحة مطواع، تعطي للحس اللغوي حرية في الصياغات والأبنية والتراكيب المتنوعة على وفق المقامات والسياقات، فالشاعر يتصرف ويتخير من المفردات ما يناسب حالته النفسية، وانفعالاته وأحاسيسه.

---

(١) الكثير من شعره اختلط بشعر المجنون وابن ذريح وغيرهما كما سنرى.

ومن هنا، أشرنا فيما سبق إلى أنه استعمل مفردات لصيقة بنفسه الثائرة المتوترة الغاضبة، المحبة المغرمة، ولذلك نرى المفردات في مثل: [من الطويل]

لعمري لئن كنتم على النأي والقلى بكم مثل ما بي إنكم لصديق
إذا زفرات الحب صعدن في الحشا رددن، ولم ينهج لهن طريق

(النأي) و(القلى) و(صديق) و(زفرات الحب) و(الحشا)، فضلاً عن التراكيب المعبرة عن حالته النفسية: (بكم مثل ما بي) و(صعّدن في الحشا).

ومثل قوله: [من الطويل]

إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضكم أتتنا برياكم فطاب هبوبها
أتتنا بريح المسك خالط عنبراً وريح الخزامى باكرتها جنوبها[1]

ففيهما: (الريح) و(رياكم) و(أرضكم) و(المسك) و(عنبراً) و(الخزامى) فضلاً عن التراكيب التي تتمم الصورة وتربط بين المفردات ربطاً دلالياً جميلاً.

ومثل قوله: [من الطويل]

وهل تجزينّي العامرية موقفي على نسوة بين الحمى وغضا الجمر
مررن بأسباب الصّبا فذكرنها فأومأن إذما من جواب ولا نكر[2]

ففيها: (العامرية) و(موقفي) و(نسوة الحي) و(الحمى) و(غضا الجمر) و(أسباب الصبا) و(ذكرنها) و(جواب ونكر)، وهي مفردات تدل على التعلق المتناهي للشاعر بأيامه، وموطنه، ونسوة الحي، وأخبار محبوبته، وهذه الدلالات والمعاني عبرت عنها بشكل مستفيض تراكيب البيتين تعبيراً دقيقاً.

ومثل قوله وهو يخاطب صاحبيه: [من الطويل]

ألا تسألان الله أن يسقي الحمى بلى، فسقى الله الحمى والمطاليا؟
وأسأل من لاقيت هل مطر الحمى فهل يسالن عني الحمى كيف حاليا

(١) معاهد التنصيص: ٢/٨٧.
(٢) الأغاني: ج٦/ص٣ (الثقافة).

يتكرر لفظ (الحمى) في هذين البيتين بشكل واضح، ويرجو من خلالهما أن يكون حماه بخير دائم، يجود عليه الله - تعالى - بالسقي والمطر، ويسقي مطاليه[١]. ذلك أنه يرجو أن تكون صاحبته منعمة، لا يسوءها شيء، ولكنه يسأل: هل للحمى أن يذكره، ويستفسر عن حاله، إن هذا مما يشغل الشاعر ويؤلمه، لأنه يعيش حالة سيئة قاسية، وهو بعيد عن الحمى ومن فيه.

وفي قصيدته العينية التي نقلنا منها شيئاً فيما مضى، يقول في أبيات أخرى منها: [من الطويل]

أمن ذكر دار بالرقاشين أصبحت ... بها عاصفات الصيف بدءاً ورجّعا

ألا يا خليليّ اللذين تواصيا ... بلومي، إلاّ أن أطيع وأسمعا

قفا إنه لا بد من رجع نظرة ... يمانيّة شتى بها القوم أو معا

كمغتصب قد عزه القوم أمره ... حياء يكف الدمع أن يتطلّعا

تبرض عينيه الصبابة كلما ... دنا الليل، أو أوفى من الأرض ميفعا

فليست عشيات الحمى برواجع ... إليك، ولكن خل عينيك تدمعا[٢]

ومنها:

كأنك لم تشهد وداع مفارق ... ولم تر شعبي صاحبين مقطّعا؟

تحمل أهلي من (قنين) وغادروا[٣] ... به أهل ليلى حين جيد وأمرعا

نجد أنّ قاموس لغته لا يعدو الألفاظ ذات الدلالات العاطفية والتراكيب ذوات الصور الحزينة الباكية، ولذلك كثر في مقطعاته الشعرية ذكر العين والدموع، والوجع والألم، والحنين، والوداع، واللوم والصبابة والتلفت نحو الحي، وتصدع الكبد، والليل، والطاعة والسمع، وهذه المفردات وغيرها تتدافع في واد واحد، تصنع موقفاً نفسياً جيّاش العواطف، مشبوب الانفعالات يند عن الآلام و الأوجاع:

---

(١) المطالي: جمع مطلاء، وهي الأرض المنخفضة، فيها مسيل ماء ضيق أو هي أرض سهلة لينة تنبت العضاه، وقيل غير ذلك: اللسان (مطل).

(٢) الأغاني: ج٦/ص٨ (ثقافة) وفي رواية متقدمة: (عليك ولكن..).

(٣) يبدو أن قنين موضع، كان يسكنه الشاعر وأهله من نجد.

تلفت نحو الحي حتى وجدتني ... وجعت من الإصغاء ليتاً وأخدعا

وهذه هي الصورة الصادقة المعبرة عن أحاسيس الصمة، وما يلاقي من معاناة وأوجاع، وهو مرتبط بمن فقد، يلتفت طول دهره إلى الموضع الذي بدأ فيه أيامه الفتية الصبية (تلفت نحو الحي).

ولست أريد أن استقصي دراسة دلالات المفردات الغزلية عند الصمة، لأن لذلك مجالاً أوسع يمكن أن يتجرد له باحث من بعدي، فيتناوله بدراسة جامعية مستفيضة، ولكنني ألفت النظر إلى هذا الشاعر، ولغته، ليأخذ مكانه في موضوعات البحث العلمي العالي.

أما ميزات صياغاته وتراكيبه، فالصمة سهل العبارة، واضح المعنى، تراكيبه خالية من المعاضلة في النظم، مسترسلة يأخذ بعضها بعناق بعض حتى تنتهي تركيبة البيت الشعري، انظر إلى قوله:

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني ... على كبدي من خشية أن تصدعا

فأول البيت يأتي التركيب (أذكر أيام الحمى)، وهو جملة بسيطة واضحة يعبر فيها عن ذكرياته الأولى في حماه بين أهله، ثم يتبعها بقوله: (ثم أنثني على كبدي)، وهو جملة ثانية معطوفة على الأولى ومعناها مرتبط بالجملة الأولى، لأن الذكر للحمى يبعث في نفسه الألم، ويؤذي كبده، فهو يخشى على كبده من أن تتصدع بسبب هذه الذكرى، فجاءت الجمل - أو العبارة - متممة لما تقدم من الكلام في البيت: (من خشية أن تصدعا)، واستعمل الشاعر (من) بمعنى (من أجل) وهو استعمال عربي فصيح في المفعول لأجله[1].

والصمة شاعر مطبوع؛ لسانه ينطق باللغةالسليمة، ولكنه حين ينطق بتركيب، يقصد من ورائه ما يحقق له من معنى في نفسه، فقوله:

فليست عشيات الحمى برواجعٍ ... عليك، ولكن خلِّ عينيك تدمعا

جعل الفعل (تدمعا) مجزوماً، لأنه أراد أن يكون جواب طلب للفعل الأمري (خل)، فلو أراد أن يجعل (تدمعا) حالاً، لكان عليه أن يقول (تدمعان) وعلى

(١) انظر شرح الحماسة للتبريزي: ٣/١١٤ - ١١٥.

ذلك تنبه التبريزي حين قال: (قوله: تدمعا، جواب الطلب مجزوم، ولو كان ـ أراد الحال ـ لكان تدمعان)[١].

ولو وقفنا وقفة متأملة على هذا الذي نجده في البيت القشيري لرأيناه قد قصد إلى أن يكون جواب الطلب؛ لأنه يريد من عينيه أن تدمعا بالقوة، ويأمرهما أن تسيلا الدمع، لما اصابه، ويتبعه بقوله[٢]:

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معاً

وقد قيل في تفسير هذا البيت: أنه كان أعور، والعين العوراء لا تدمع، وقال المفجع: (إنه أراد عين السحابة، جاءت من الجهة اليسرى، فارتاع وخشي الفرقة، فهو كناية عن السحاب، ثم نشأت أخرى من عن يمين القبلة، فأيقن من حبيبته بالفراق، وهذا من (أسبلتا معاً)، ثم قال معترفاً: (خل عينيك تدمعا) يعني السحابتين[٣].

أقول: وهذا كله خلط، وبعد عن حقيقة الأمر، فالشاعر متألم وفي أزمة نفسية حادة، لا ينفّس عنها إلا البكاء وإسبال الدموع، ولذلك كان يرى في دموع عينيه وإسبالهما ماءهما متنفساً عن معاناته، وآلامه الشديدة.

وإنما جاء بالبيت: (بكت عيني اليسرى..) جواب شرط (لما) في البيت قبله:

ولما رأيت البشر أعرض دوننا وحالت بنات الشوق يحننّ نزعا

والبشر موضع حجز بينه وبين ديار أهله، فزاده ثورة هياجاً، فقال ما قال.

ورواية أبي الفرج للبيت المذكور[٤]:

ولما رأيت البشر[٥] قد حال بيننا وحالت بنات الش ق في الصدر نزعا

---

(١) نفسه: ٣/١١٤.

(٢) نفسه: الجزء والصفحة.

(٣) نفسه: ٣/١١٥، قال التبريزي وروى المفجع أبياتاً أخرى.. وهي غير صحيح، فاختلطت هذه بتلك.

(٤) الأغاني: ج٦/ص٥.

(٥) البيت في معجم البلدان: (البشر).

ففي الروايتين اختلاف في المعنى، لأن بيت الأغاني جعل الحيلولة دون الشاعر وموطن حبيبته بسبب (البشر) و(بنات الشوق في الصدر) في حين تعطي رواية التبريزي معنيين آخرين، فالبشر (أعرض) دون رؤية الشاعر، وفي لفظ الإعراض مشاركة من البشر في زيادة الآم الشاعر ومعاناته، ثم كانت رواية (يحنن نزعا) قد زادت معنى الحنين لبنات الشوق مشاركة منها لحنينه وشكواه.

وكل هذه المعاني التي جاءت منسابة انسياباً طبيعياً في كلام الشاعر، وبلغة فصيحة عالية انتهت إلى قوله[1]:

تلفت نحو الحي حتى وجدتني	وجعت من الإصغاء ليتاً وأخدعا

يقول التبريزي: (الليت صفحة العنق، وجمعه: أليات، والأخدع: عرق من العنق) ثم أورد التبريزي بيتين آخرين، ولم ينسبهما، ولكنه يعرضهما بشكل يوحي أن قائلهما الصمة نفسه، قال: (وقد قيل: إن من رموزهم: أن من خرج من بلده والتفت وراءه رجع إلى ذلك البلد، وأنشد أبياتاً، ومنها قوله: [من الخفيف]

عيل صبري بالثعلبية لما	طال ليلي وملّني قرنائي
كلما سارت المطايا بنا ميـ	ـلا تنفست والتفت ورائي

ثم قال: (انتصب ليتاً، لأنه تميز، وهذا باب ما ينقل الفعل عنه . . . : كأن الأصل: وجع ليتي وأخدعي فلما شغل الفعل عنهما . . . بضمير أشبها المفعول، فنصبهما، ومثله: (تصببت عرقاً، وقررت عيناً)[2]. وتفسير التبريزي لعبارة الصمة باشتغال الفعل بالضمير يريد ارتباطه بتاء الفاعل (وجعت) فلما انصرف الفعل عن الليت والأخدع نصباً، فأعربا تميزاً، وهذا كقوله ـ تعالى ـ: (وفجرنا الأرض عيوناً)، وقوله ـ تعالى ـ: (واشتعل الرأس شيباً). والموضوع مبحوث في باب التمييز في كتب النحو، ويسمى التمييز المنقول.

وإنما ميز الشاعر مواطن الوجع في جسمه ليبين أن الليت والأخدع قد أصابهما ذلك؛ لأنهما وطن الالتفات إلى الوراء، وعليهما وقع ثقل الإصغاء فأورد (من) لبيان السبب أي: كأن سبب الوجع الذي وقع في الليت والأخدع هو الإصغاء الدائم المستمر إلى الديار.

---

(١) الأغاني: ٥/٦ وشرح التبريزي: ١١٤/٣.

(٢) شرح التبريزي: ١١٤/٣ وانظر: همع الهوامع: ٢٥١/١.

ومن الشواهد التي عوّل عليها النحويون في باب أدوات العرض والتّحضيض قوله : [من الطويل]

ونبئت ليلى أرسلت بشفاعة إلي ، فهلا نفس ليلى شفيعها ؟

أأكرم من ليلى عليّ فتبتغي به الجاه؟ أم كنت امرأً لا أطيعها؟[١]

وقد اختلف في نسبتهما ، فقد نسبا إلى غير الصمة ـ أيضاً ـ ، ولو ثبت أنهما من قول الصمة ، فيهمنا منهما أن قوله : (فهلا نفس ليلى شفيعها) كان استعمالاً قد تسامح الشاعر فيه ، كما يبدو من كلام النحويين ، لأن أدوات التحضيض تدخل على الجملة الفعلية ، والشاعر هنا أدخل (هلا) على الجملة الاسمية : (نفس ليلى شفيعها) ، فهل هو شاذ ، أم هو استعمال فصيح ؟ .

يقول ابن مالك (٦٧٢ هـ) : [من الرجز]

وقد يليها اسم بفعل مضمر علق أو بظاهر مؤخر[٢]

ويقول الشارح ابن عقيل (٧٦٩ هـ) :

(إن أدوات التحضيض تختص بالفعل ، فلا تدخل على الاسم ، وذكر في هذا البيت : أنه قد يقع الاسم ـ بعدها ـ ، ويكون معمولاً لفعل مضمر ، أو لفعل مؤخر عن الإسلام ، فالأول كقوله : [من الكامل]

الآن بعد لجاجتي تلحونني هلا القدم ، والقلوب صحاح

فالتقدم مرفوع بفعل محذوف ، وتقديره : هلا وجد اتقدم ، ومثله قوله[٣] :

[من الطويل]

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضوطرى لـ لا الكمي المقنعا؟

(١) أوردهما التبريزي في شرحه على الحماسة: ١١٥/٣ وخزانة البغدادي١/٤٦٢ و٤٩٨/٤ و٥٩٧/٣، والمغني: ٦٩ و٧٤ و٣٠٧ و٥٨٣ وشرح شواهد السيوطي ٧٩، وشرح شواهد العيني: ٤١٦/٣ وشرح التصريح: ٤٩/٢ والهمع: ٦٧/٢، والدرر اللوامع: ٨٣/٢ والأشموني: ٢٥٩/٢ والمرزوقي: ١٢٢.

(٢) شرح ابن عقيل على الألفية: ٣٠٩/٢ -٣١١.

(٣) نفسه: ٣١٠/٢.

فالكمي مفعول به لفعل محذوف، والتقدير، لولا تعدون الكمي المقنع والتقدير الذي نجده في البيتين السابقين مقبول، لصحة الدلالة له، ولكن التقدير نفسه إذا أجريناه على الشعر المنسوب للصمة[١] تعذر وضوح المعنى، ولذلك جاءت وجهات النظر مختلفة بين ابن جني وأبي بكر بن طاهر، وابن هشام[٢]، وهي على الشكل الآتي:

١ ـ إن ثمة محذوفاً بعد (هلا) وهو الفعل الناقص (كان) والضمير (هو)، وهو ضمير الشأن، والتقدير: هلا كان هو: نفس ليلى شفيعها فجملة (نفس ليلى شفيعها) في محل نصب خبر كان، واسمها ضمير الشأن[٣].

وهذا هو الذي ذكره صاحب المغني ـ أيضاً ـ، وأخذ به أبو بكر بن طاهر.

٢ ـ إن التقدير (هلا شفعت نفس ليلى)، فجيء بفعل مقدر من جنس المذكور (شفيعها)، وهو أقيس. وأعربوا (شفيعها) على هذا خبراً لمحذوف، أي: هي شفيعها. وبذلك أخذ البصريون[٤].

٣ ـ وذكر العيني أن قوله (نفس ليلى) كلام إضافي مبتدأ وشفيعها خبره)[٥]. وهو قول غير مألوف في مثل هذا التركيب، لكون (هلا) تختص بالجمل الفعلية الخبرية، قال العيني: (الاستشهاد فيه: في قوله: فهلا نفس.. حيث أضمر فيه ضمير الشأن كما ذكرنا: إن لتقدير فيه: فهلا كان هو...).

أما البيت الثاني، فقد استشهد به النحويون على اشتراط الصفة لما وُطئ به من خبر أو صفة أو حال.

قال البغدادي: (وفي أمالي ابن الشجري: إعادة ضمير من أطيعها) ضمير متكلم، وفاقاً لـ(كت)، ولم يعد ضمير غائب، وفاقاً لـ(امرأ) على حد قوله ـ تعالى ـ: (بل أنتم قوم تجهلون).

---

(١) نسبهما إليه ابن جني في إعراب الحماسة، ونسبهما العيني إلى قيس بن الملوح، قال: ويقال: قائله بن الدمينة: انظر الخزانة: ١/٤٦٤.

(٢) المغني ٧٤ و٧٩ و٣٠٧ و٥٨٣.

(٣) شن الشواهد: للعيني ٣/٤١٧.

(٤) العيني: ٣/٤١٧ والخزانة: ١/٤٦٤.

(٥) المقاصد النحوية: ٣/٤١٧.

والذي يريده ابن الشجري أن القراءة: (تجهلون) جاء العقل فيها للمخاطبين ولم تكن: (يجهلون) بالياء، أي: للغائبين، مع صحة احتمالها.

ومن الشواهد التي أخذ بها النحويون، وبنوا عليها أحكامهم، قوله[1]: [من الطويل]

ذراني من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيباً وشيبننا مردا

والبيت من مقطوعة شعرية، قال فيها صاحب الخزانة: إنها قصيدة، وذكر منها البيت المذكور، ثم ذكر بعده: [من الطويل]

لحى الله نجداً كيف يترك ذا الندى بخيلاً وحر الناس يتركه عبدا

على أن نجداً قد كساني حلة إذا ما رآني جاهل ظنني عبدا

سواداً وأخلاقاً من الصوف بعدما أراني بنجد ناعماً لابساً بردا

على أنه قد كان للعين قرة وللبيض والفتيان منزلة حمدا

سقى الله نجداً من ربيع وصيّف وجود وتسكاب سقى مزنه نجدا

وذكر العيني قبل البيت الشاهد قول الصمة:

خليلي إن قابلتما الهضب أو بدا لكم سند الوركاء أن تبكيا جهدا

لعبد لعلى حيث أوفى عشيه خزازى ومدّ الطرف هل أنس النجدا

فما عَن قلى للنجد أصبحت ها هنا إلى جبل الأوشال مستنجياً بردا

ثم زاد العيني بعد قوله: سقى الله نجداً...

سقى الله نجداً من ربيع وصيف وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا

ألم تر أن الليل يقصر طوله بنجد ويزداد النطاف به بردا

على أنه قد كان ... الخ[2].

---

(١) شرح ابن عقيل: ٥٨/١ وخزانة البغدادي: ٣/٤١١-٤١٢ وشرح التبريزي على الحماسة: ٤١٣/٣، وتلخيص الشواهد: ١/٧١-٧٢، وشرح الشواهد للعيني: ١٦٩/١.

(٢) انظر: المقاصد النحوية: ١٧٠-١٧١.

والنحويون يوردون البيت الشاهد: (ذراني من نجد...) على أنه أعرب (سنين) إعراب: مسكين وغسلين، بالحركات على آخره، والتزام النون مع الإضافة، قال العيني: (ولو لم يجعل الإعراب بالحركة على نون الجمع لحذف النون فقال: فإن سنيه، وأعلم أن هذه لغة بني عامر)[1]. ونقل[2] البغدادي (أن نون الجمع الذي جاء على خلاف القياس قد يجعل معتقب الإعراب، أي: محل تعاقبه، أي: تجري عليه الحركات واحداً بعد واحد، ولا تحذف للإضافة كما في قوله (سنينه).

ومعنى ذلك أن لك في ما كان مجموعاً جمع مذكر سالماً وجهين:

الأول: أن يلتزم النون، ويجري الإعراب عليها، شرط لزومه الياء.

الثاني: أن يعرب بالحروف، الواو في حالة الرفع، والياء في حالتي الجر والنصب ولذلك قالوا: (ولا يجوز مع الواو إعرابه بالحركات، لأن الواو يدل على إعراب بعينه، فلم يجز ثباتها من حيث لم يجز ثبات إعرابين في الكلمة).

ومن النحويين من جوز الإعراب بالحركات مع وجود الواو، وجعله كإعراب (زيتون) ورد هذا الرأي بأن الواو في (زيتون) لم تكن إعراباً)[3].

يقول ابن عقيل: (اختلف في المراد هذا، والصحيح لا يطرد، وأنه مقصور على السماع، ومنه قوله(ص): (اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف)[4].

والحق أن لزوم الياء مع النون في إعراب: (عشرين) و(سنين) هو لغة في قوم الشاعر العامريين، ووافقهم فيها: أسد وتميم، وجوّزه ابن جني في الجمع الحقيقي - أيضاً - وتبعه ابن عصفور في كتاب (الضرائر)، وأورد النحويون لذلك شواهد كقول الفرزدق: [من البسيط]

ما سد حي ولا ميت مسدهما إلا الخلائق من بعد النبيين

وقوله: [من البسيط]

---

(١) شرح شواهد شروح الألفية:١/١٧٥.

(٢) الخزانة: ٣/٤١١-٤١٣.

(٣) الخزانة: ١/٤١٢.

(٤) شرح ابن عقيل: ١/٥٨-٥٩.

وإن أتم ثمانينـــا رأيـــت لـــه شخصا ضئيلا وكل السمع والبصر

وقوله : [من الوافر]

وإن لنـــا أبـــا حســـن عليـــا أب بـــر ونحـــن لـــه بنـــين

وقول الآخر : [من الوافر]

ومـــاذا يـــدري الشـــعراء منـــي وقـــد جـاوزت حـــد الأربعـــين ؟

وقول الآخر : [من الخفيف]

رب حـــي عرنـــدس ذي طـــلال لا يزالـــون ضـــاربين القبـــاب

فأضاف (ضاربين)، وجعل (القباب) مضافاً اليه، ولم يحذف النون للإضافة .

وللنحويين في تفسير ذلك، أقوال ولهم عليه شواهد كثيرة، نكتفي بما قدمنا[١]، غير أن الذي يهمنا أن الصمة قد مكن لغة قومه العامريين، ولم تكن موقوفة عليهم، بل جاءت على لسان بني عامر وأسد، مما يدل على سلامتها في اللسان العربي، وقوامها الحديث : (اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف)، في إحدى روايتيه[٢] .

إن هذه الإلمامة السريعة بلغة شعر الصمة، هي ليست كل ما يتميز به، وإنما هي أمثلة متفرقة من بين ما تجمع لدي من مصادر هذه الدراسة ومراجعها، ولعل باحثاً لو تجرد للصمة وشعره، وأفاض في مفردات لغته، وفي تركيبه، وأسلوب التعبير عنده لوقع على خصائص وسمات شعرية ولغوية، تصلح أن تكون موضوعاً لدراسة جادة، تسد نقصاً في المكتبة العربية في المستقبل، وإنا نحن منتظرون ذلك إن شاء الله(تعالى) .

---

(١) انظر: أمالي ابن الشجري ورأيه فيه: ٢/ ٥٣، وشرح المفصل ورأي الزمخشري والشارح: ٥/ ١١، وشرح التصريح: ١/ ٧٧، والاشموني: ١/ ٨٦ وتلخيص الشواهد لابن هشام: ١/ ٧١.

(٢) تلخيص الشواهد: ١/ ٧١-٧٢.

بعض مصادر البحث ومراجعه:

- الأغاني : أبو الفرج الاصفهاني : (٣٥٦ هـ) - ط : دار الثقافة .

- الأمالي : أبو علي القالي : (٣٣٥٦ هـ) - ط : دار الكتب - مصر .

- تخليص الشواهد : ابن هشام : (٧٦١ هـ) . ط : الدكتور عباس الصالحي - لبنان .

- خزانة الأدب : عبد القادر البغدادي : (١٠٩٣ هـ) . ط - بولان .

- الزهرة : محمد بن داوود[1] الأصبهاني ، تحـ : د . ابراهيم الافراني و د . نوري القبسي .

- شرح التصريح : خالد الأزهري : (٩٠٥ هـ) : ط : مصر .

- شرح الحماسة : التبريزي : (٥٠٢ هـ) ط : مصر .

- شرح ابن عقيل على الألفية (٧٦٩ هـ) : ط : محمد محي الدين عبد الجين ، مصر .

- لسان العرب : ابن منظور (٧١١ هـ) : ط : بولان .

- محاضرات الأدباء : الاصفهاني . ط : بيروت .

- معاهد التنصيص : العباسي : (٩٦٣ هـ) : ط : مصر .

- معجم البلدان : ياقوت : (٦٢٦ هـ) : ط : مستنفلد .

- المقاصد النحوية : العيني : (٨٥٥ هـ) : على هامش الخزانة .

- مغني اللبيب : ابن هشام : ط : محمد محي الدين عبد الحميد - مصر .

- همع الهوا مع شرح جمع الجوامع : السيوطي - ط : دار المعرفة - بيروت/ لبنان .

وغيرها مما أشرنا إليه خلال البحث .

(١) أرى في كتابة (داوود) أن ترسم بواوين على القياس وأن يهمل النقل فيه .